

السياسة التعليمية الفرنسية

في الجزائر خلال القرن 19 م

أ. مختاري الطيب

جامعة مستغانم

RESUME

L'étude s'articule sur l'élaboration de la politique coloniale scolaire française appliquée en Algérie le long du dix-neuvième siècle et ses conséquences sur la population Algérienne . L'objectif de ce travail est de mettre en exergue l'ensemble des étapes appropriées en terme d'enseignement primaire secondaire et même universitaire et d'en déduire les principaux objectifs coloniaux français de cette politique et ses répercussions en terme de faire dominer la langue du colonisateur , la falsification de l' Histoire , et la constitution d' une élite assimilée qui divulguera les aspects civilisationnel du colonialisme français en Algérie.

الكلمات المفتاحية : السياسة التعليمية ، المدارس الإسلامية ، اللغة العربية ،

الحضارة الفرنسية ، النخبة الاندماجية

مقدمة:

تتجلى المقاومة على مستوى الأفكار قبل أن تكون ممارسة وفعلا والأفكار مصدرها المعرفة وهي نابعة من التعلم لذلك ركزت فرنسا مجهودها بعد مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي على التعليم فحل القلم محل البندقية. أتطرق في هذه المقالة إلى التعليم في الفترة الاستعمارية وقبل 1830 م لايجاد مقارنة بين ماكان عليه حال التعليم وما آل إليه الوضع التعليمي. لم تغزو فرنسا منطقة شاغرة وإنما كانت هناك دولة لها نظامها ومؤسساتها وتعليمها حتى وان لم يكن متطورا فالأمية تكاد تكون منعدمة.

تطرقت إلى المرحلة الأولى التي امتدت من 1830 إلى 1850م حيث كانت المحاولات الأولى ثم الى مرحلة مابعد 1850م أصبحت فيه السياسة التعليمية مشروعا واجب التنفيذ لاستكمال المشروع الاستعماري فكان التعليم الابتدائي والثانوي وحتى الجامعي الذي ظهر سنة 1879م وظهر جامعة الجزائر سنة 1909 م. كان أيضا التعليم المهني الفلاحي للجزائريين خدمة للمستوطنين إلى جانب ذلك كانت مدرسة المعلمين ببوزريعة.

خلاصة هذه الدراسة هي تتبع لمسار التعليم ودوره في التمكين للمشروع الاستعماري وإيجاد نخبة جزائرية مرتبطة بفرنسا ومحاولة عزل الجزائر عن جذورها التاريخية انتماءا وعقيدة .

لم يكن دخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر يعني السيطرة كونها تتعدى التواجد العسكري فهي مرتبطة بمجالات متعددة وحتى التواجد العسكري في السنوات الأولى للاحتلال كان محدودا لا يتعدى محيط المدن الرئيسية ، إضافة إلى الرفض الجزائري للتواجد الفرنسي ، وقد تمثل في بادئ الأمر في المقاومة الرسمية ممثلة بشخص الداوي حسين إضافة إلى مقاومة المتيجة والمقاومة المنظمة وغير المنظمة . هذا الرفض كانت له مسبباته ، فالدين لا يقبله و لا الأعراف ففرنسا لم تكن صاحبة مشروع حضاري ولا يوجد لها قواسم مشتركة مع الجزائريين من حيث الانتماء بجميع مستوياته الدينية والعرقية أو غيرها. فكان لزاما على فرنسا اتخاذ جميع السبل لفرص التواجد من جهة و استغلال خيرات وثروات الجزائر من جهة أخرى ومن بينها سبل فرض التواجد وسلطة التعليم الذي لم تتخذ منه فرنسا يوما وسيلة تحضيرية أو وسيلة للقضاء على الأمية و إنما أداة من أدوات السيطرة والاستغلال سواء من حين منعته وقطعت روافده من الأوقاف وغيرها أو حينما أرادت منحه لفئة من الجزائريين لجعلهم نخبة إدماجية .

1- التعليم قبيل الاحتلال :

كانت المراكز التعليمية تدار من قبل الطبقة الدينية وتمول عن طريق أملاك الوقف التي تم الاستيلاء عليها مع بداية الاحتلال وضمها إلى إدارة الدومين والتي كانت من الأسباب الرئيسية للقضاء

على التعليم العربي. هذه الأوقاف هي ممتلكات أوقفها أصحابها بغية العمل الخيري حتى يستتفع منها فقراء الجزائريين والمسلمين ،وهي في الشرع حبس الأصل وتسبيل الثمرة أي حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله . كانت الممّول الرئيسي للزوايا والمساجد والكتاتيب وهي المراكز التعليمية

على العهد العثماني في الجزائر. كانت البداية عندما أصدر القائد العام كلوزيل قرارا في 08 سبتمبر 1830م يخوله وضع اليد عليها، كما أعطى لنفسه الحق بعد ذلك في 2600 ملكية. كما نسجل التحايل الذي قامت به إدارة الاحتلال ففي سنة 1833 عملت على إجبارها بعقود طويلة المدى مقدرة ب 99 سنة ثم عملت على التنازل عليها فيما بعد (1).

يذكر أن دخلها كان يفوق الأربعين مليون فرنكا، كانت تمثل 66 بالمائة من مجموع الأملاك العقارية والزراعية. منها أوقاف مكة والمدينة وهي على رأس الأوقاف تمثل 3/4 من دخل مجمل الأوقاف حيث يبعث بالنصف إلى فقراء مكة والمدينة أما النصف الثاني يستتفع به فقراء الجزائر. كذلك وقف سبل الخيرات التي تأسست في 1590م الذي أسسه شعبان خوجة وهو موجه إلى إصلاح الطرقات وشق القنوات وإلى مساعدة المحتاجين ودعم المراكز العلمية، كان يشرف عليه إحدى عشر عضوا. وقف الجامع الكبير الذي استعمله الجيش الفرنسي كماوى له ووقف الزوايا وهي متعددة، إلى جانب ذلك أوقاف الأندلس التي

تأسست سنة 1601م، كانت في البداية موجهة لإغاثة أهل الأندلس الملاحقين من الاضطهاد الإسباني المسيحي. هناك أيضا وقف الإنكشارية والمياه والطرق. ترجمت هذه النية السيئة لكلوزيل بقرار ثان في 07 ديسمبر 1830م المكون من ثمانية مواد والتي نصت أن كل ملكية وقفية مهما كان ريعها وعنوانها ستكون مستقبلا تابعة للدومين، وقد أورد بلوندل مدير المالية هذا الجدول الإحصائي لها مؤرخ في 30 نوفمبر 1842م⁽²⁾.

مكان الوقف	الأوقاف المثمرة	الأوقاف المختصة بالمصالح العامة
الجزائر	1764	34
عناية	60	15
وهران	109	23
قسطنطينة	1276	416

كانت المراكز التعليمية ممثلة في الكتاتيب إلى جانب الرباطات وكان أغلبها على السواحل فكانت وهران أعظم رباط للعلم والجهاد وهناك

الزوايا التي تعددت وظيفتها فهي مراكز تعليمية ولإقامة، نجد على سبيل المثال في قسنطينة 16 زاوية وفي الجزائر 6 زوايا إلى جانب المدارس والمساجد مثل الجامع الكبير بالعاصمة. أما المدارس في الشرق الجزائري ازدهرت مع سياسة صالح باي الثقافية الذي أسس مسجد ومدرسة الكتاني 1775م بقسنطينة التي ضمت 80 مدرسة وفي عنابة 39 مدرسة وفي تلمسان 50 مدرسة حيث انتعشت الثقافة ويمكن أن نميز ثلاث مستويات تعليمية أواخر القرن 18 م وبداية القرن 19م وهي الابتدائي، الثانوي، العالي.

كان التعليم متطورا نسبيا عند دخول الفرنسيين إلى الجزائر وهذا بشهادة المؤرخين الفرنسيين أنفسهم ومنهم أجرون⁽³⁾، من جانبه رئيس المكتب العربي دوماس يقول أن جميع القبائل والأحياء لها معلم وأنه توجد بين 2000 إلى 3000 مدرسة بكل مقاطعة، وذكر الجنرال فلازي أن جميع الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة، ومن جهته يذكر لاموريسيار أن القرآن هو أساس التعليم في الجزائر سواء الابتدائي أو العالي⁽⁴⁾.

كان التلاميذ يزاولون قراءة القرآن، النحو والأجرومية، اللغة العربية ويلحق بها الفقه وعلوم الدين، الحساب، ومقدمة بن خلدون، ملخصات الطب لابن سينا⁽⁵⁾. كما كانت المدرسة تمد الدولة بالقضاة والمفتيين أما المدرسون فيعينهم الداوي باقتراح من مدير أملاك الحبوس

ويعيشون على عائداتها ، كما كانت العائلات الثرية تتكفل أيضا ببعض الطلبة والتي ترى فيه عملا صالحا وواجبا شرعيا.

كان سن التمدرس في المستوى الابتدائي بين 6 و 10 سنوات يقوم به المؤدب الذي يعينه رئيس الدوار أو الجماعة أما في الريف يكون في الخيم بالنسبة للمدن يكون في المدارس التابعة للحبوس. المستوى الثانوي كان في المساجد و المدارس الممولة بعائدات الأوقاف والهيئات والصدقات، المدرس يعين من طرف الباي وهو يجمع بين التدريس والقضاء والإفتاء ، طلاب المدارس يصبحون مؤدبين وكتابا. التعليم العالي تلقى دروسه في المساجد الرسمية مثل المسجد الكبير بتلمسان وزاوية القليعة، زاوية مليانة، مسجد سيدي لخصر بقسنطينة، يصل عدد الطلبة 800 طالب في كل إقليم .

تذهب التقارير الإدارية الفرنسية التي كتبت ما بين 1830 - 850 م عن التعليم قبيل الاحتلال بأنه كان في حالة جيدة حيث توجد ميزانية ومدارس كثيرة وعدد كبير من المعلمين إلى جانب وجود برامج تعليمية، تختتم بشهادات مؤهلة إلى الوظائف، كما أنّ هناك طلبا للعلم في المستوى الأعلى لدى الحواضر الإسلامية مثل فاس وتونس⁽⁶⁾.

2 - التعليم أثناء الاحتلال :

كانت أولوية المحتلين الفرنسيين في البداية الجانب الأمني و وضع اليد على المقدرات المالية ولم تكن هناك سياسة تعليمية بل على العكس من ذلك فإنّ الاستيلاء على الأوقاف كان ضربة للتعليم الجزائري القائم

آنذاك بحكم أن الأوقاف كانت مصدرا تمويليا للمراكز التعليمية وقد امتدت مرحلة الإهمال حتى سنة 1850. ولم يكن اهتمام الإدارة الاحتلالية بتعليم أبناء الجزائريين أو مايعتبرون الأهالي في نظرهم رغبة منهم في بسط الحضارة والتمدن، بل بغرض الاحتواء وقطع الطريق أمام الجهاد.

ذكر جانتي دي بوسي أنه تم فتح 03 مدارس سنة 1832 لأبناء الأوربيين عدد التلاميذ بها كان 100 تلميذا من بينهم 40 يهوديا يتعلمون الفرنسية 03 مرات في الأسبوع أما الفرنسيين فيتعلمون العربية مرة واحدة في الأسبوع⁽⁷⁾. فتحت في جوان 1833 م مدرسة عربية فرنسية وقد قاطعها الجزائريون خوفا من بعدها التصيري حيث غلب عليها الطابع الديني التصيري والذي كان نشطا حتى في فرنسا نفسها⁽⁸⁾.

أسست أول مدرسة عمومية لاستقبال الجزائريين سنة 1836م أطلق عليها اسم المدرسة الأهلية الفرنسية تتوفر على قسم واحد، كانت الدراسة باللاتينية التحق بها 36 تلميذ فرنسي ولم يلتحق بها أي تلميذ جزائري⁽⁹⁾. بدأت هذه المدرسة نشاطها سنة 1837 تعطي دروسا في الفرنسية للكبار والتي كانت شرطا للتوظيف كما عملت على تدريس العربية للفرنسيين. كان بمدرسة الجزائر 60 تلميذا وأنشئت مدرستين بمستغانم بها 25 تلميذا وأخرى بعنابة بها 45 تلميذا حيث بلغ العدد الإجمالي سنة 1837 "425" تلميذا بما فيهم أطفال اليهود .

سعت بعض الشخصيات الجزائرية بعد انهيار المدرسة الجزائرية للحصول على منح لأبنائهم للتمدرس في فرنسا من أمثال حامد بوضربة لولده إسماعيل ،إسماعيل بن أمين السكة لولده أحمد، في ناحية وهران ،إسماعيل بن قادي(قاضي) إلى جانب الأغا بن داود، محمد بن قدور وقد وصل عدد هؤلاء إلى ثمانية سنة 1844 كانوا في مؤسسة دوما ينكور وخصصت لهم منحة قيمتها 2500 فرنك وقد سعت فرنسا من وراء ذلك تحسين صورتها واستمالة بعض الشخصيات الجزائرية النافذة إلى جانبها وضرب المقاومة، هؤلاء التلاميذ هم مالك بن محمد ،قايد المدني،أحمد بن أمين السكة ،محي الدين بن علال ،عمر ولد بونظيرو ،الشريف بن سالم ، أحمد بن رويلة ،وعلي ولد الحاج أحمد الشريف⁽¹⁰⁾.

شهدت مرحلة ما بعد 1850م سياسية أخرى راجعة إلى عدة اعتبارات ومعطيات ميدانية فقد تم التفرغ من مقاومة الأمير عبد القادر الذي كان على رأس دولة جزائرية قائمة بذاتها تسيطر على جزء واسع من التراب الجزائري واحمد باي الذي لم تزحه فرنسا عن قسنطينة التي كان على رأسها بايا إلا بعد محاولة ثانية سنة 1837 م سبقتها أخرى فاشلة سنة 1836م ، كما وجدت تقارير فرنسية تدعوا السلطة إلى الاهتمام بالتعليم الذي هو أداة لاستمرار فرنسا في الجزائر فكان تقرير الجنرال بيديو 1847سنة وتقرير سارو 1849 وتقرير 1857 الذي نص على تكوين جيل جديد من الجزائريين في مدارس فرنسية بعد20 سنة من

الاحتلال لم يشهدوا الغزو وعملية المقاومة وإنما نشأوا في عهد الاحتلال وفتحوا أعينهم على الجزائر الفرنسية.

تم سنة 1850 الانطلاق في عملية تثبيت المدارس والتي بدورها تثبت الاحتلال ونلاحظ مستويات عدة الابتدائي والثانوي و العالي وكان التعليم بالفرنسية مع إبعاد العربية الفصحى وتثبيت العربية الدارجة كلغة مدرسية.

صدر في 14 جويلية 1850م مرسوم بإنشاء ست مدارس ابتدائية في الجزائر، قسنطينة، وهران، مستغانم، عنابة، البليدة على نفقة الحكومة والتعليم فيها مجانيًا يؤطرها معلم فرنسي يشغل منصب مدير ومساعد معلم مسلم يعينهما الحاكم العام باقتراح من عامل(والي) العمالة، المسلم يستثار فيه المفتي أو القاضي ويشترط في المدير معرفة العربية . نص المرسوم على إنشاء أربع مدارس للبنات في الجزائر قسنطينة عنابة وهران يتعلمن العربية، الفرنسية، الحساب، الخياطة و الطرز تؤطرها مديرة فرنسية و هي معلّمة و مساعدة مسلمة بنفس الشروط السابقة كما فتحت مدارس للكبار في الجزائر ،وهران، قسنطينة مدة الدراسة فيها ثلاثة أيام في الأسبوع، مواد التعليم هي العربية ، الفرنسية،الحساب، التاريخ الجغرافيا، يشرف على المدارس شيخ البلدية قاضي الصلح المفتي و عضو يعين من طرف عامل العمالة إلى جانبها هيئة مكلفة بالتفتيش و المراقبة مكونة من ضابط أو موظف مدني فرنسي و عون مسلم و ترسل التقارير كل ثلاثة أشهر عن حالة

المدرسة إلى عامل العمالة ثم إلى الحاكم العام الذي يؤشر عليها مع الملاحظة و يوجهه إلى وزير الحربية كما حددت مجموعة من الكتب كمراجع للتدريس من خلال التنظيم المعمول به نستشف الأهمية التي أولتها فرنسا لانتقاء المؤطرين خدمة للمشروع الاستعماري، نشير أن التنظيم المدرسي يختص بصفات عسكرية أكثر منها تربوية.

خصت قاعة واحدة للدروس وتوزيع التلاميذ يكون حسب المستوى داخل القسم عن طريق الصفوف. يوجد ما بين 40 و 50 تلميذ في القسم يجرى الامتحان للمداومين على الدراسة بمقر العمالة في مركز إداري، تمنح شهادة مدرجة بثلاث درجات حسب التفوق كما تمنح لهم إمكانية التوظيف. مصاريف المدارس هي من 10 إلى 25 ألف فرنك و مبلغ جزافي مقدر ب500 فرنك خاص بالتجهيز عند التأسيس، مرتبات الموظفين هي 1200 فرنك سنويا للمدير وعلوة بنصف المرتب وعلوة فرنك لكل تلميذ مواظب تلتئها للمدير وللمعلم أما المعلم المساعد يتقاضى 600 فرنك سنويا.

أنشئت سنة 1865م 12 مدرسة موزعة على العمالات و العباء المالي أصبح على عاتق الجزائريين من خلال الضريبة التي يطلق عليها اسم السنتيمات الإضافية الملحقة بالضرائب المترتبة على الجزائريين وبدأت البلدية في تحصيلها سنة 1867م⁽¹¹⁾. المدارس الأربعة التي كان مقررا انجازها لم ينجز منها سوى 2 واحدة بالعاصمة حولت إلى

ورشة للخياطة و الطرز و أخرى في قسنطينة .وصل عدد المدارس 19 مدرسة بمقتضى مرسوم 1850م.

3 - التعليم الثانوي :

كانت فكرة الجنرال بيجو.صدر في 14/03/ 1857 مرسوم إمبراطوري يقضي بإنشاء معهد ثانوي في الجزائر و التدريس فيه بالفرنسية تتكفل الدولة بتقديم 150 منحة لأطفال الضباط و صف الضباط و الباشغوات، الأغوات، القياذ و شيوخ القبائل و الأعوان الآخرين من الأهالي . مورست ضغوطات عليهم لقبولها من خريجها بن بريهمات ، بن سديرة. أما أبناء الأهالي الآخرين فيكون التكفل على عاتق أوليائهم و المقدر ب 800 فرنك و هو مبلغ تعجيزي. يستقبل التلاميذ أصحاب المنح من سن 9 إلى 11 سنة يشترط أن يكون لهم مستوى يمكنهم من متابعة الدروس، يتابعون الدروس حتى سن 17 سنة تنتهي باجتياز امتحان البكالوريا، المواد المدرسة هي العربية، الفرنسية ، تاريخ فرنسا ، تاريخ عام و جغرافيا، رياضيات ، فيزياء و علوم، رسم، تربية بدنية و تقنية و دروس دينية، المدير يتم تعيينه من طرف الإمبراطور أما الناظر ونائبه من طرف وزير الحربية باقتراح من الحاكم العام، يشترط في المدير إتقان العربية وفي الآخرين لغة شرقية . يعين وزير الحربية المدرسين إلى جانب إمام لأداء الصلوات الخمس مع التلاميذ، المعهد هو مؤسسة شبه عسكرية ميزانيته من ميزانية الدولة والعمالات والسنتيمات وفي 1865 اتخذت الإدارة قرارا بفتح معهد وهران

ولم يتم فتحه بسبب تغير النظام السياسي في فرنسا سنة 1870 م عندها أُطيح بالنظام الملكي الإمبراطوري وحلت محله الجمهورية الفرنسية الثالثة وأخر بقسنطينة الذي وحده رأى النور في جانفي 1867 م استقبل 112 جزائريا و 4 أوروبيين. مع نهاية 1870 م استقبل المعهدان 233 تلميذا وبعد 1870م ألغي المعهدان كونهما من سياسة نابليون الثالث التي رأت فيها الجمهورية الثالثة سياسة معادية للمستوطنين⁽¹²⁾.

4 - المدارس الإسلامية :

كان الهدف منها قطع الطريق أمام المقاومة باستغلال الدين الإسلامي لخدمة الأغراض الفرنسية ففي 30 سبتمبر 1850 صدر مرسوم رئاسي ينص على إنشاء مدرسة عليا في كل من المدينة و تلمسان و قسنطينة أي مدرسة في كل عمالة وتقرر أن تكون المدرسة في تلمسان داخل مسجد سيدي بومدين أما بقسنطينة بمدرسة سيدي الكتاني لتكوين مرشحين للوظائف الدينية والقضاء و التعليم وكانت تحت إشراف وزير الحربية أما سن الالتحاق غير محددة حيث دخلها من هو في 40 من عمره مدرسة المدينة حولت إلى البلدية سنة 1855م ثم إلى الجزائر، العدد فيها محدود مدراء هذه المدارس من الجزائريين مثل حسن بن بريهمات في العاصمة والظاهر غراس ومحمد الزقاي في تلمسان ومحمد الشاذلي في قسنطينة معلمها من رجال الدين المرتبطين

بالزوايا ومن قضاة المكاتب العربية بعد سنة 1877 أدمجت هذه المدارس في النظام التعليمي الفرنسي وتغيرت من مدارس عربية أهلية إلى مدارس فرانكو إسلامية برنامجا وتوجها وبعد 1892م تفرست بصفة كلية وسيطر عليها المستشرقون سنة 1895م أضيف قسم أعلى في مدرسة الجزائر لتمكين المتعلمين من الالتحاق بالوظائف العالية وهو بمثابة البكالوريا.

5 - المدرسة الفلاحية:

ظهرت بمرسوم إمبراطوري في 26/05/1865م بها تعليم نظري يتمثل في القراءة، الكتابة بالفرنسية، الحساب ومبادئ أولية في البيطرية، التعليم التطبيقي يخص الزراعة و البستنة وكانت في العاصمة .سعت هذه المدرسة إلى تجنب أن يكون لأبناء الجزائر مستوى عالي من جهة وتفتح عقولهم على أفكار لاتخدم الاستعمار ومن جهة أخرى إيجاد فئة تخدم مصالح المستوطنين الفلاحية.

6 - مدرسة معلمي الابتدائي :

جاءت بعد انتشار التعليم نسبيا و حاجة الإدارة لسد الفراغ في المناصب المقدرة بعشر مناصب التي تحتاجها المدارس الأهلية 19 من مجموع 231 مدرسة أنشئت بمرسوم 04/03/1865 لاستقبال 30 طالبا منهم 10 جزائريين مدة التكوين 3 سنوات . يجتازون امتحان القبول كما يشترط فيهم السن من 16 إلى 22 سنة والتعهد بالعمل في مجال التعليم لمدة 10 سنوات وشهادة حسن السيرة من المدارس التي

مروا بها ومن قيادات المكاتب العربية لمنطقتهم ،حاملين لشهادة إنهاء الدراسة في احد المدارس العربية الفرنسية .دخلها في البداية 10 جزائريين وسنة 1868 دخلها ثلاثة فقط و33 فرنسي كانت هذه المدرسة أداة للاندماج وتم الفصل بين المتدرسين سنة 1882م وأضحى للجزائريين قسم خاص وبرنامج خاص⁽¹³⁾ .

7 - التعليم العالي :

نشأ رسميا سنة 1879 م ،بدأت المحاولة الأولى من طرف بول بارت لما وضع اقتراحا لدى غرفة النواب سنة 1877لانشاء مركز جامعي في الجزائر ثم جاءت المحاولة من طرف وزير الأشغال العمومية لما وضع مشروعا في فيفري 1878 تم التصويت عليه في 20 ديسمبر 1879م من طرف مجلس الشيوخ⁽¹⁴⁾ ، سبق هذا المركز الجامعي مدرسة للطب و الصيدلة تشكلت سنة 1857 تهتم بالأعشاب و الأمراض و تكوين الممرضين، دخلها عدد نادر من الجزائريين. تكونت سنة 1879 م ثلاثة مدارس عليا (الآداب،الحقوق،العلوم) ثم المدرسة الرابعة وهي للطب ، أصبحت في30 ديسمبر1909م جامعة الجزائر، هذه المدارس لم تكن مستقلة لا من حيث البرنامج و لا الشهادات حيث تجرى الامتحانات النهائية في فرنسا ضمانا للارتباط والتبعية وحفاظا على المستوى⁽¹⁵⁾.

كانت في شمال إفريقيا جامعة واحدة حيث كان الطلبة الجزائريون يمثلون 1/15من طلبتها ويجب أن ننظر إلى تعداد سكان الجزائر

والفارق بينهم وبين المستوطنين ونستطيع أن نلقي نظرة عن تعداد الطلبة ليتبين لنا على مدار 6 عقود حجم المتخرجين فهناك 354 محاميا، 28 مهندسا، 85 أستاذ ثانوي، 165 طبيب وطبيب أسنان وصيدلي، 6 قضاة ونجد إلى جانبهم 100 ضابط و 25 إطار سامي هم تعداد النخبة، إذن هذه هي الحصيلة المجحفة لما تخرج من الجامعة، نشير أن أول طالبة جزائرية دخلت الجامعة هي حورية عامر سنة 1927 واليك الجدول المبين لتعداد الطلبة الجزائريين في الجامعة وهو عبارة عن أرقام ذكرها غي بريفي⁽¹⁶⁾، وضعتها في جدول ويذكر جمال قنان أن الأرقام المقدمة من الفرنسيين رغم كونها قليلة دوما تبقى محل نظر فهي ربما أقل من الأرقام المعطاة.

السنة	1916	1929	1941	1946	1947	1952
عدد الطلبة	61	100	147	360	227	386

8 - برنامج وأهداف المدرسة الفرنسية :

كانت اللغة الفرنسية هي الأساس الذي تركز عليه المدرسة الفرنسية حيث يقول بوسنيون في جوان 1887م تعليم السكان الأهالي هو أولا تعليم لغتنا لما يتكلم الأهالي لغتنا يصبحون شبه فرنسيين . كان الهدف من وراء ذلك أن تصبح الفرنسية هي اللغة الأم ولغة العلم و الحضارة و التفكير

ركزت المدرسة الفرنسية في الجزائر على تاريخ الفينيقيين في الجزائر وعلى إفريقيا الرومانية وما خلفوه من عمران ، العنصر العربي والعثماني درست فترتهم على أساس أنها فوضى وتخريب وعلى أنها تمثل الغزو وأنهم غزاة وليسوا فاتحين ومنجدين فقد كان الهدف هو جعل القطيعة مع هذا الماضي والانتماء. كان الأطفال يتعلمون تاريخ البلد الأم أي فرنسا مع تمجيد فرنسا وإنسانيتها وحضارتها والتعريف بنابليون بونابرت، روسو ، وفولتير كما ركزوا أن الأمة الجزائرية غير موجودة وهي في إطار التشكل وفي هذه النقطة يمكن أن نلاحظ تأثيرها على التيار الاندماجي مثل فرحات عباس الذي تأثر بذلك في بداية نضاله السياسي فقد صرح بعدم وجود الأمة الجزائرية ورد عليه ابن باديس من خلال جريدة الشهاب ثم تغير طرحه مع الأربعينيات من القرن 20 م⁽¹⁷⁾ ، كذلك مع بلقاسم بن سديرة الذي أثرت فيه المدرسة الفرنسية وكتب سنة 1891م أن اللغة الفرنسية هي لغتكم الأم لقد بدأت في الاستماع إليها من اليوم الأول الذي ولدتم فيه⁽¹⁸⁾.

تركز مادة الجغرافيا تركز على أهمية الموقع الفرنسي وإبرازقارة أوروبا وعلى مكانة باريس .التربية المدنية ركزوا على تعليم شعار الثورة الفرنسية (الإخوة- الحرية -المساواة) وعلى الديمقراطية وعلى إن الوطن هو فرنسا و واجب الولاء و التضحية لأجلها حيث كان التلاميذ يركزون على النشيد الفرنسي لمارسيان .

9 - المدرسة الفرنسية واللغة العربية :

شجعت الفرنسيين على تعلم العربية لفهم المجتمع الجزائري وإحكام السيطرة عليه ولقد أعطت جائزة بذلك مقدرة ب150 فرنك سنويا للمتفوقين وكان ذلك سنة 1835 م وقد مكنت فرنسا ضباط جيش الاحتلال سنة 1830 م من قاموسين لكل ضابط بأمر من وزير الحربية، من جانب آخر ركزت على الدارجة لضرب اللغة العربية الفصحى حيث صدرت عدة قواميس في هذا الشأن حيث صدر منشور وزاري في نوفمبر 1852 م يرصد جائزة قيمتها 5000 فرنك لأحسن قاموس وحتى الكلمات الدارجة تكتب في بعض الحالات باللاتينية . نجد القائد العام دو ريفغو يصرح في 15/10/1832 إن ايالة الجزائر لن تكون من الممتلكات الفرنسية إلا بعد أن تصبح لغتنا لغة قومية فيها... والمعجزة التي ينبغي تحقيقها هي إحلال اللغة الفرنسية محل العربية تدريجيا⁽¹⁹⁾ ، كذلك الدوق دومال الذي حكم الجزائر سنة 1847/1848 قال فتح مدرسة فرنسية في أوساط الأهالي تعادل معركة عسكرية⁽²⁰⁾ ، وحتى أول بيان وجهه دي بورمون إلى الجزائريين عشية الاحتلال كان مكتوبا بالعامية لبالعربية، وتم التركيز في المجال الأدبي على العامية فمثلا الشعر ركزت على الملحون وروجت لفكرة أن العربية هي لغة ميتة مثل الإغريقية واللاتينية. تعدى السطو على مكانة اللغة العربية حيث جاء في جريدة المبشر 15 اوت 1855 أنه شرع في إلقاء الدروس في باتنة في المسجد بالفرنسية .

خاتمة

عملت فرنسا على ترسيخ وجودها ويتجلى ذلك من خلال تنوع السياسات خاصة في المجال التعليمي بتركيز جهودها وتوظيف أموال الضرائب والأوقاف لترسيخ سياسة تعليمية تثبت التواجد الاحتلالي من خلال البرامج التعليمية الهادفة لربط الجزائر بفرنسا ومحو الثقافة العربية الإسلامية بضرب التعليم العربي وتدجين بعض الزعامات خاصة الطرق الصوفية وقد كان نتاج ذلك تجهيل المجتمع والنسب خير دليل على ذلك على جميع المستويات التعليمية حيث لا تتعدى في غالب الأحيان 5 بالمائة وقد جعلت من هذه النسبة أداة إدماجية ووسيلة لاستمرارية السياسة الفرنسية حتى بعد استعادة الاستقلال. بموازاة ذلك كان مجهود جزائري خالص تزعمته النخبة التقليدية وحتى بعض المطالب التي رفعها بعض المنتخبين الجزائريين من أمثال محمد بن رحال في القرن 19 م⁽²¹⁾، والحركة الإصلاحية التي تزعمتها جمعية العلماء المسلمين في القرن 20م.

الهوامش:

(1) – Charles robert ageron. **le gouvernement du général berthezen**

aAlger 1831 .Edition Bochene.p45.

(2) – محمد البشير الهاشمي مغلي، " التنظيم الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم

للاحتلال الفرنسي " ، المصادر العدد 6

سنة 2002 ، ص 178 .

(3) – شارل روبيير أجرون. **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 – 1919**. ج 1 ترجمة م حاج

مسعود وأبكي. دار الرائد للكتاب. الجزائر . 2007. ص 581.

(4) – ايفون توران ، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين**

1830 – 1880 .دار القصبية، الجزائر 2007 ص 127.

(5) – نفسه ص 133.

(6) – أبو القاسم سعدالله، **الحركة الوطنية الجزائرية ج1**، دار البصائر 2007 ط خ، ص 386.

(7) – ايفون توران، المرجع السابق. ص 47.

(8) – جول فيري هو منظر السياسة الاستعمارية الفرنسية جعل التعليم في فرنسا مجانيا ثم لانكيا

سنة 1882. عمل على التمكين لفرنسا من خلال السيطرة على تونس والتوسع في افريقيا ومنطقة الهند

الصينية حول هذه السياسة أنظر:

– دحو فغرور. " جول فيري مهندس الإمبراطورية الفرنسية " .**مجلة عصور الجديد**، العدد 1 سنة

2011

(9) – الغالي العربي وآخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد**. المركز الوطني

للبحث في الحركة الوطنية والثورة .الجزائر.ص229.

(10) – جمال قنان، **التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830 – 1944**. المركز الوطني

للدراستات والبحث في الحركة الوطنية والثورة .الجزائر، 2007 .ص22.

(11) – شارل روبيير أجرون، المرجع السابق.ص 601 .

(12) – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق.ص 394.

(13) – نفسه ص

(14)- collection du centenaire de l'Algérie. P306

(15)- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص388.

(16)- غي بريفيلي ، الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880 - 1962، ترجمة حاج

مسعود، أ بكلي .ع بلعربي ،دار القصة 2007 . صص 30 - 31

(17)-عبد الحميد بن باديس ، " الكلمة الصريحة "، جريدة الشهاب .أفريل 1936 .

(18)- إبراهيم لونيبي ، " أوضاع التعليم في الجزائر في منتصف ق 19 م من خلال جريدة المبشر "

، المصادر العدد 19سنة 2009 ، ص 40.

(19)- جريدة المبشر 15 فيفري 1848 .

(20)- الغالي العربي وآخرون.المرجع السابق ،ص253 .

(21)- محمد بن رحال من مواليد ندرومة تصدر الواجهة إلى جانب المكي بن باديس في الشرق

الجزائري استقبلته لجنة التحقيق الفرنسية برئاسة جول فيري سنة 1891م وقدم لها مقترحا يخص تعليم

الجزائريين أنظر :

COMMISSION D'ETUDE DES QUESTIONS ALGERIENNES 1891.p 285